المحاضرة السادسة: المقاربـات النظريـة لديناميـة الجماعـة

تمهيد:

يرتكز علم دينامية الجماعة على العديد من المقاربات النظرية التي تساهم في تفسير طبيعة الجماعات وبنائها وتطورها، بتحليل التفاعلات التي تنشأ بين أعضائها ومن بين أهم المقاربات نذكر ما يلي:

- اتجاه التحليل العاملي (الاتجاه العام للشخصية) (ريموند كاتل).
- اتجاه نظرية المجال (كيرت ليفين)
- الاتجاه السوسيومتري (جاكوب موربنو)
- اتجاه التحليل النفسي (فرويد)

1- اتجاه التحليل العاملي: (الاتجاه العام للشخصية): "ريموند كاتل"

يمثل اتجاه التحليل العاملي للجماعة منهج إحصائي يستخدم لفهم العلاقات المعقدة بين المتغيرات الاجتماعية للجماعة ويعتبر هذا الاتجاه أداة مهمة لتحليل وفهم السمات والمتغيرات الاجتماعية المختلفة داخل الجماعات ويتكون هذا الاتجاه من جزئين يتصلان ببعضهما البعض، يتعامل أحدهما مع أبعاد الجماعة ويتعامل الجزء الآخر مع ديناميات الشخصية العامة للجماعة وتشمل **"أبعاد الجماعة"** ثلاثة فئات هي:

- **سمات الجمهور**: وتشمل خصال الأفراد الذين ينتمون إلى الجماعة، وهذه الخصائص توجد بصفة مستقلة عن الجماعة وتنضم إليها عندما يصبح الفرد عضوا فيها.
- **سمات الشخصية العامة للجماعة**: وتشير إلى شخصية الجماعة، بمعنى (سلوك الجماعة (وبالتالي فإنها تعني مختلف التأثيرات الخاصة بالجماعة عند تتصرف الجماعة كجماعة ككل وهذا ما يجعل الجماعة عبارة عن كيان مميز، وتظهر الشخصية العامة للجماعة من خلال السلوك الخارجي للجماعة مثل: اتخاذ القرار.
- **خصائص البناء الداخلي:** ويعبر عن العلاقات القائمة بين أعضاء الجماعة مثل لعب الأدوار.

وتتميز الفئات الثلاث السابقة بالاعتماد المتبادل ، أما بالنسبة للجزء الثاني المتمثل في **"ديناميـة الشخصيـة العامـة للجماعـة"** فهو يمثل المفهوم الأساسي لدى **"كاتل"** في تحليل ديناميات الشخصية العامة للجماعة هو **"الطاقة العامة"** حيث أن كل فرد ينضم إلى الجماعة بغرض إشباع حاجة سيكولوجية معينة، وهو على ذلك يأتي للجماعة بدرجة من الطاقة يكرسها من أجل المشاركة في أنشطتها، وبالتالي فإن الطاقة العامة للجماعة هي مجموعة الطاقات الفردية المتاحة للجماعة وتشمل أنشطة الجماعة عادة على نوعين هما:

- أنشطة تكون موجهة نحو المحافظة على الجماعة.
- أنشطة أخرى تكون موجهة نحو تحقيق هدف الجماعة.

وتسمى نسبة الطاقة العامة الواجب تخصيصها من أجل تحقيق التماسك والتآلف بين أعضاء الجماعة بطاقة النشاط العامة الحافظة للجماعة.

ويرى " **كاتل"** أن الجماعة أداة لإشباع حاجات الفرد وأن الأفراد ينتمون إلى الجماعة لسبب واحد فقط وهو أنها تساهم في تحقيق إشباع معين لهم لم يسبق أن تيسر لهم تحقيقه.

وخلاصة القول أن" **كاتل"** يرى أن الجماعة تقوم نتيجة لاهتمامات معينة، وليست من الضروري أن تتشابه بالنسبة لكل أفراد الجماعة، ولكنها يتم إشباعها من خلاله انتمائه إلى جماعة والتي تكون هي نفسها أداة الإشباع.

ويهدف التحليل العاملي للجماعة إلى تحديد البعد الجماعي الأساسي والمتغيارت الاجتماعية الأكثر تأثيرًا على سلوك وتفاعل أفراد الجماعة، ومن خلال هذا الاتجاه يمكن تفسير تفاصيل السمات الاجتماعية داخل الجماعات وتصنيفها بناءً على التشابه والاختلاف ويعتبر التحليل العاملي أداة أساسية لدراسة التفاعلات والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد في الجماعة وكشف مختلف أبعادها الأساسية، وكمثال على ذلك يمكن أن يستخدم التحليل العاملي من أجل تحديد وفهم العوامل التي تؤثر في التكافؤ الاجتماعي داخل الجماعات، أو تحديد العوامل التي تؤثر على مستوى التفاعل والتعاون بين أفارد الجماعة.

إن استخدام التحليل العاملي في دراسة الجماعات يمكن من توضيح الأبعاد الاجتماعية الأساسية وتحديد مختلف المعطيات التي تؤثر في نسبة الجماعات وتفاعلها، مما يساعد على فهم ديناميات الجماعة وتحديد طبيعة العلاقات والتفاعلات الجماعية ومختلف العوامل المؤثرة فيها.

2- اتجاه نظرية المجال لكيرت ليفين:

يعتبر **"ليفين"** صاحب نظرية المجال في علم النفس، والذي تأثرت نظريته بالنظرية الجشطالتية والفكرة الأساسية المرتبطة بهذه النظرية، أن عملية إدراك لموضوع معين يحدده المجال الإدراكي الكلي، الذي يوجد فيه، وأن الكل ليس عبارة عن مجموع الأجزاء فقط، وأن الجزء يتحدد بطبيعة الكل وأن كل الأجزاء تتكامل في وحدات كلية، وتؤكد نظرية المجال أن السلوك يمثل وظيفة المجال الذي يكون موجودًا في الوقت الذي يحدث فيه السلوك، ونتيجة لمجموعة من القوى الدينامية المحركة يبدأ التحليل بالموقف بشكل كلي، ومن خلال الموقف الكلي يحدث تمايز الأجزاء المكونة، ويرى ليفين أن قوى المجال الدينامية تسهم بشكل كبير في تحديد السلوك حيث يعرف ليفين المجال بأنه: "مجموع الوقائع المتواجدة معا والتي يتم إدراكها على أنها تعتمد على بعضها البعض"

ويعد ليفين المؤسس الحقيقي لعلم دينامية الجماعة(1890- 1947) من خلال دارسته المجموعات الاصطناعية عن طريق دمج متغيرات المناخ الاجتماعي (استبدادي، ديمقراطي، عدم التدخل) وتعتبر العدوانية مشتركة بين هذه المتغيرات الثلاثة وبغض النظر عن أسلوب التحكم، فإن المجموعة في وضع استبدادي نجد أن هناك مقاومة العدوانية(القصور الذاتي)، بينما بالنسبة للمجموعة المسيرة ديمقراطيا، تزيد العدوانية من الإنتاجية، وأخيرًا بالنسبة لمجموعة "دعه يعمل"(عدم التدخل) تظل العدوانية عالية والإنتاجية هي الأقل.

وقد قام **ليفين** بتوسيع نطاق عمله ليشمل المجموعة الطبيعية، حيث يرى أن المجموعة وبيئتها تشكل مجالًا اجتماعًيا ديناميًا وتتمثل عناصره الرئيسية في المجموعة الفرعية والأعضاء، وقنوات الاتصال والحواجز.

ركز ليفين على التغيير الاجتماعي، وكشف أن القوى المعارضة (المقاومة للتغيير) لا تغير التوازن بل تؤدي إلى زيادة التوتر في المجموعة، ويرى أن التغيير يتم من خلال الحد من التوترات والصراعات الداخلية.

وحسب ليفين يشير مفهوم ديناميكية الجماعة على أنها: "مجموع القوى النفسية والاجتماعية الفاعلة والمتعددة والتي تتحكم في نمو وتطور الجماعة، بمعنى أنه يمكننا تحديد وحصر أهم ومختلف مجالات دينامية في: عوامل تفكك وتماسك الجماعة، ظروف ونشأة تكوين وبناء الجماعة، تأثير الجماعة في سلوك وتفكير ودوافع وتوافق الفرد وقيم وسمات الفرد ومدى تأثيرها في عمل الجماعة، خصائص وصفات الجماعة

إن دينامية الجماعة تضم معنيين: يتمثل الأول في مجموعة الظواهر التي تنشأ داخل الجماعات الصغيرة وكذلك مختلف القوانين التي تتحكم في هذه الظواهر، أما بالنسبة للمعنى الثاني خاص بمجموع المناهج التي سمح بالتأثير على سلوكات وشخصيات الفرد عن طريق الجماعة، حيث تسمح للجماعات الصغيرة التأثير على الجماعات الأكبر.

وتهتم البحوث المرتبطة بعلم دينامية الجماعة بمستويات متعددة من حياة الجماعة كالعمليات الاجتماعية والنفسية داخل الجماعات نتيجة لعملية الاتصال والتفاعل بين أفرادها، وبعض الظواهر التي تحدث داخل الجماعة كالتواصل والأدوار والمعايير وأهداف الجماعة، كما تهتم أيضا بمختلف السيرورات العلائقية في مستواها الواعي كتبادل الآراء، والأفكار وعملية اتخاذ القرارات... ومستواها اللاوعي لعمليات التوحد والتقمص.

يرى ليفين أن هناك طبيعة تفاعلية لحدوث مختلف الظواهر الاجتماعية بين أعضاء الجماعة، وهذه المعادلة تعني أن السلوك الاجتماعي يحدث عندما تتفاعل الخصائص الشخصية لأعضاء الجماعة مع عوامل البيئة للجماعة التي تتكون من الأعضاء الآخرين، وبهذا فإن سلوك الجماعات لا يمكن فهمه عن طريق فهم سلوك فرد واحد فقط، بل من خلال تفاعله مع جميع الأفراد، فعندما يتفاعل أفراد الجماعة مع بعضهم البعض يكونون وحدة

اجتماعية واحدة يشترك فيها أفراد الجماعة بالقيم والمعايير والمعتقدات نفسها مما يساهم في إعطاء فهما مشترك للمشاعر والأهداف الاجتماعية والأفكار المرتبطة بالأفراد.

وبالتالي فحسب " ليفين" فإنه يرى أن سلوك الفرد وسلوك الجماعة يرتبطان بالخصائص التي لها علاقة بالموقف وظروف المجال الذي تؤدّي إليه هذه الخصائص.

لقد أكد ليفين على التعبير الرياضي عن الموقف النفسي، كما اعتبر الجماعة كلية تشكل مع المحيط الذي تنتمي إليه حقلا ديناميا اجتماعيا، وتتكون عناصرها الأساسية من أعضائها ومجموعاتها الفرعية وقنوات الاتصال فيها، ومختلف معوقاتها وأهم شيء عند دارسة الجماعات هو التركيز على مختلف العلاقات الدينامية بين العناصر والبنيات من منظور الترابط المتبادل بين أعضائها وبين عناصر الحقل التي تتمثل في المعايير والأهداف وتوزيع الأدوار، لأنها هي التي من خلالها سوف تفسر في وقت معين عمل الجماعة وسلوكاتها وعلاقتها مع المحيط الاجتماعي.

يعتبر **" كي رت ليفين"** المؤسس الرئيسي لعلم دينامية الجماعة الذي تحدث عن الطاقة التي يملكها كل فرد في الجماعة وأن هذه الطاقة تسخر من أجل تحقيق أهداف الجماعة، وتظهر الدينامية داخل الجماعة من خلال تضافر مجموع الطاقات الفردية، كما ركز ليفين على التغيير الاجتماعي وتحدث عن القوى المعارضة التي تؤدِّي إلى زيادة التوتر في المجموعة.

3- الاتجاه السوسيومتري (جاكوب مورينو):

تأسس القياس السوسيومتري على يد **"جاكو ليفي مورينو"** (1889- 1971) حيث يرى أن الأفراد مرتبطون من خلال ثلاث علاقات : التعاطف والكراهية واللامبالاة، والتي يمكن قياسها باستخدام استبيان يقيس مدى الروابط الاجتماعية والعاطفية والتماسك الاجتماعي وتوضيحها على شكل رسوم بيانية يطلق عليها مورينو المخطط الاجتماعي.

ويهتم هذا الاتجاه بالناحية الانفعالية لحياة الجماعات من خلال الاتصالات والتفاعلات التي تحدث بين أفرادها والذي يحدد مقدار جاذبية الجماعة ودرجات التماسك بين الأعضاء، فهو منهج يعمل على تقييم مشاعر أعضاء الجماعة نحو بعضهم البعض، وهذا ما يبين ويكشف عن شكله من العلاقات الاجتماعية ويطلق عليها اسم البناء السوسيومتري أو البناء الاجتماعي للجماعة، حيث يتم تمثيل بناء نماذج الاختبار السوسيومتري بصفة عامة في شكل رسم بياني يعرف **"بالسوسيوغارم"** وهو نوع من خريطة الجماعة التي تظهر من خلالها خيارات أعضائها سواء كانت سلبية أو إيجابية، ويرمز لأعضاء الجماعة فيه بدوائر أو مثلثات صغيرة، بينما يرمز للاختيارات بخطوط تواصل.

فالسوسيومتري يمثل اتجاه جديد لقياس مختلف التأثيرات المتبادلة بين الأفراد والوحدات الاجتماعية، استخدمت هذه الطريقة بنجاح في علم النفس الاجتماعي، ثم قام بتطبيقها الباحثون الاجتماعيون في دراسات وقياس الاتصالات والعلاقات الاجتماعية ومحاولة التفسير والتعبير عنها تعبيرًا رياضيًا وكميًا عن الوحدات التي تم قياسها، فتطبق

هذه الطريقة على مختلف العلاقات الاجتماعية ولا تعتبر إلا وسيلة عميقة لفهمها والتعبير عنها بطريقة واضحة ودقيقة.

إن موضوع هذا القياس هو الفرد في علاقته بالآخرين بمعنى مجموعة العلاقات التي تتشابك بين الأفراد والهيئات والجماعات بين الأعضاء والجماعات، كما أن هذه العلاقات بين أخذ وعطاء، مد وجزر، تجاذب وتنافر، حب وكراهية، تباعد وتقارب، تفكك وتوصد، تكامل وتداعي، أصبحت من ألزم الأمور للمختصين في علم النفس الاجتماعي أن يعملوا على قياس هذه المسافات الاجتماعية والتعبير عنها تعبيرًا كميا رياضيًا، بفضل قواعد وأسس جديدة لملاحظاتها والقيام بالتجارب عليها، حيث تختلف كل الاختلاف عن القواعد التقليدية القديمة القائمة على مجرد الملاحظة الخارجية والإحصاء.

حسب **"جاكوب مورينو"** فإنه يرى أن الأفراد مرتبطون ببعضهم البعض من خلال العديد من الاتصالات والعلاقات والتي تظهر على شكل الحب والتعاطف، اللامبالاة والكراهية داخل الجماعات، حيث عبر عن الروابط التي تجمع بين أعضاء الجماعة بتمثيل بياني يسمى **بالمخطط الاجتماعي** أو **السوسيوغرام**، فالقياس السوسيومتري يسعى إلى فهم تنظيم العلاقات الاجتماعية وأنماط التواصل والتفاعل بين أعضاء الجماعة، ويعتبر القياس السوسيومتري أداة قيمة لدراسة الجماعات وديناميتها الاجتماعية، فبفضل مورينو وأبحاثه تمت إضافة أفكاره وتقنياته إلى العديد من المناهج العلاجية والتدريبية ولاتزال أعماله مؤثرة في مختلف المجالات النفسية والاجتماعية حتى يومنا هذا.

4- اتجاه التحليل النفسي:

أشار **"فرويد، freud"** في مؤلفه **"علم النفس الاجتماعي وتحليل الأنا"** سنة **(1921)** إلى مفهوم دينامية الجماعة، حيث ركز على العمليات الدافعية والدفاعية في الفرد ومن بين أهم وأبرز المفاهيم في النظرية التحليلية بالنسبة للدينامية الجماعة التقمص والنكوص وميكانيزمات الدفاع واللاشعور:

- **التقمص**: ويشير التقمص إلى العملية اللاشعورية التي يستطيع من خلالها الفرد اكتساب خصائص فردٍ آخر تربطه به روابط انفعالية قوية وتشتمل هذه الخصائص على بعض السلوكيات والأفكار.

- **النكوص:** ويمثل عمليه الرجوع إلى مرحلة سابقة من مراحل العمر في الجماعة. يسهل التعبير عن بعض الاتجاهات النكوصية والتي تظهر على مستوى السلوك، وتختلف درجة السلوك والنكوص بحسب عوامل مختلفة، مثل الأجواء الاجتماعية وفترة الاستمرارية في الجماعة وثباتها الانفعالي واتزانها.

وإذا كان الجو الجماعي سمحًا متعاونًا، فإن الفرد قد يقل قلقه وتقل حاجات التعلق بالأنماط الدفاعية، ويمكن أن يكون للجماعة آثار فعالة وبناءة تسهم في تدعيم نمو الشخصية، وقد يكون لها آثار علاجيه، منها الشعور بالانتماء والمكانة.

- **الكبح**: ويعني محاولة شعورية من أجل التحكم في الانفعالات والتغلب عليها، كما أنه عبارة عن عملية القمع وهي مرادفة لمصطلح ضبط النفس، وإن كانت كثرة الكبح تؤدِّي إلى الكبت.
- **الكبت**: هو عملية نفسية تتم في اللاشعور وتختفي خلالها كل مصادر آلام الإنسان دون أن يكون واعيًا مدركا بها

وتتميز شبكة العلاقات الشخصية داخل الجماعة حسب نظرية التحليل النفسي بتفاعل القوي الإيجابية التي تعمل على دعم تماسك الجماعة، والقوى السلبية التي تعمل على إضعافها، وتضم الروابط الإيجابية من مختلف أنواع التوحد. وبين أهم الروابط الأكثر شيوعا في العلاقات الاجتماعية نذكر ما يلي:

- التوحد بأحد المنافسين أو جماعة منافسة يرغب الفرد لو أنه حل محلهم.
- التوحد مع شخص محبوب ومرغوب فيه ومع جماعة.
- التوحد مع عضو أو جماعة من الأفراد لديهم حاجات مشتركة.

وتضم القوى السلبية في الجماعة مختلف أنواع الكراهية والمخاوف والمقاومة والعدوان، حيث أن اتجاهات أعضاء الجماعة نحو بعضهم البعض نادرًا ما تكون إيجابية، وفي كل رباط فردي وشخصي يكون حسب فرويد مزيج من مشاعر الحب والكراهية متفاوتة في شدتها.

ومن أهم **العوامل التي تزيد من تماسك الجماعة**:

- قلة الروابط الإيجابية والعاطفية بين أعضاء الجماعة.
- توفر أجواء العدل والمساواة.
- تميز النشاط الجماعي بتحقيق الحاجات الفردية المشتركة من الحب والوقاية والأمن.
- نشاط جماعي يسوده القيم والتقاليد.
- اشتراك بعض أعضاء الجماعة بأعضاء خارج الجماعة.
- أما بالنسبة **للعوامل التي تساهم في تهديد تماسك الجماعة**:
- التمركز حول الذات.
- الحسد والغيرة.
- التعبير دون قيود على الدوافع من طرف بعض أعضاء الجماعة.
- احباطات ناتجة عن مطالب القائد ومتطلبات الجماعة.

- وحسب **نظرية فرويد** أن العلاقات بين القائد وأعضاء الجماعة تختلف باختلاف مميزات وخصائص الجماعة، فالجماعات التي تسيطر عليها قيادة استبدادية مثلا يغلب ويسيطر عليها أن يحل القائد محل الأنا الأعلى للفرد، فالقائد يقوم بمهام وأدوار سلطة داخلية جديدة، وفي هذه الحالات تكون المشاركات بين الأعضاء قليلة إن لم تكن منعدمة تمامًا.

فهم ينكصون إلى الاعتماد الزائد والمبالغ فيه وينزعون إلى الخضوع وإلى التخلص والبعد عن ذاتيتهم كأفراد، أما في الجماعات الديمقراطية فإن هناك إسقاطا أقل من طرف الأنا الأعلى للفرد على قائد الجماعة، وبدلاً من ذلك يزيد التوحد بالقائد في الأنا، وتزيد الفرصة أمام الجماعة للاستجابات الفردية والناقدة في معظم الأحيان، ويتعادل النقص في الروابط الشخصية بالقائد مع المشاركة بين الأفراد في المثل العامة، كذلك في حالة غياب القائد لتسييره مختلف هذه المثل لاستمرار المشاعر الجماعية.

ويرى **"فرويد freud"** أن الفرد يحتاج إلى الاتصال الاجتماعي لإشباع دوافعه الأساسية، كما أنه يمكن للجماعة أن يكون لها نتائج وآثار بناءة تساهم في عملية تدعيم نمو الشخصية وقد يكون لها آثار علاجية تتمثل في:

- الشعور بالمكانة والانتماء للجماعة.
- احترام وتأكيد الذات.
- الحماية والوقاية من التهديدات الواقعية المتخيلة.

إن تفسير دينامية الجماعة حسب نظرية التحليل النفسي تشير إلى كيفية تشكل الجماعات وفهم الدوافع اللاواعية والعمليات النفسية التي تؤثر على السلوكات والتصرفات الفردية داخل الجماعة، ووفقا لنظرية فرويد فإن الأفراد ينضمون إلى الجماعات بسبب احتياجاتهم النفسية ومختلف التحديات التي تواجههم في حياتهم اليومية، حيث يوفر الانتماء إلى الجماعة شعورًا بالتقدير والأمان ويساهم في تعزيز الهوية الشخصية.

وبالتالي فإن **نظرية فرويد** تعتبر إضافة علمية ساهمت في فهم دينامية الجماعة وسلوكات أفرادها، حيث اعتبرت أن الجماعات عبارة عن وحدات اجتماعية معقدة تتأثر بالعديد من العوامل النفسية والاجتماعية، في وظيفتها وتكوينها، والتي تؤثر بدورها في سلوك أفرادها وعلاقاتهم ببعضهم البعض.

وترى هذه النظرية أن الأفراد ينتمون إلى الجماعات من أجل تلبية احتياجات نفسية أساسية لهم مثل التقدير والأمان وتحقيق الهوية الاجتماعية، والحماية من الضغوط النفسية، ويتم ذلك من خلال توفير بيئة تفاعلية تؤدِّي إلى التلاحم الجماعي، وتعزيز الاتصالات بين الأفراد والحماية من الجوانب السلبية المتوقعة. وباختصار فإن نظرية التحليل النفسي تفسر دينامية الجماعة بأنها تعكس مختلف التفاعلات النفسية والاجتماعية بين أفراد الجماعة،

وتكوين الهوية الاجتماعية والتأثيرات التي يمارسها القادة والأفراد على بعضهم البعض، فهذه النظرية تمثل نظرة شاملة ومعقدة لدور الجماعات في بناء وتشكيل النفس البشرية وتأثيرها على السلوك والتصرفات.